جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

الفعل التشكيلي ورؤية الفنان بين الأثر الفني ومعانيه:
قراءة في تجربة "معرض "تكوينات لونية"" و"أنت وأنا: عمانيات" للفنانة فخرية اليحيائية

د. وسام عبد المولى
جامعة السلطان قابوس، كلية التربية، قسم التربية الفنية، مسقط، سلطنة عمان.

مقدمة:

تمتلك سلطنة عُمان العديد من الفنانين الذين حققوا سمعة محلية ودولية ساهموا بلا شك في تعزيز مكانة عُمان بين دول العالم ورسم ملامحها بين الأقطار. ورغم العناية التي حظيت بها الفنون في سلطنة عُمان من خلال تتبعنا البسيط كفنان وأكاديمي مقيم بها، نجد في المقابل قصورا في الكتابات النقدية التي يجب أن تصاحب أي النشاط الفني عادة. ويأتي محور بحثنا هذا حول دراسة أعمال فنية لإحدى الفنانات لما لمسناه من عمق في الطرح وارتباط أعمالها بفلسفات محددة وواعية للقضايا الفنية التي تعرضها في أعمالها الفنية. إن اختيارنا للفنانة العُمانية فخرية اليحيائية[1] كونها من الفنانات المعاصرات في سلطنة عُمان التي واصلت دراستها العليا في مجال الفنون الجميلة، وساهم جانب التعليم بعد إعداد شهادة الماجستير والدكتوراه في المملكة المتحدة في إكسابها مكانة مهمة في الحركة التشكيلية العُمانية. كما ساهم تكوينها الأكاديمي في التأثير مباشرة على قيمة ونوعية أعمالها الفنية وأسلوبها ورؤيتها، التي ستكون وجوبا في علاقة مباشرة بصريا مع مجتمعها الذي له خصوصياته وميزاته وثقافته. إذن نفهم مما سبق حول تقديم تعريفي للفنانة فخرية اليحيائية أنها فنانة تفكر وتؤثث لجزء نظري وذي عمق تأويلي في مختلف إنجازاتها الفنية، وهو ما يدفعنا للقول أنها صاحبة مشروع فني، وذلك من خلال ما تجربه وتقدمه من أعمال فنية، بل هي مسؤولة في رسالتها الفنية التي نعتبرها جديرة بالدراسة والبحث. وفكريا تؤمن الفنانة أن عملية اكتشاف الأشياء الجديدة تأتي نتيجة للاستكشاف والبحث في دواخلنا وأنفسنا قبل أي مبحث أو شيء آخر. لذا لابد للفنان أن يسعى لربط الخبرة اليومية مع قيمه أو غرضه من الحياة في ممارسته الفنية. لذا تأتي هذه الدراسة من أجل المساهمة في التوثيق لبعض التجارب المعاصرة في الساحة العُمانية والتي تعاني من شح في الكتابات العلمية المتخصصة في مجال الفن التشكيلي.

أهداف الدراسة:

١- التوثيق لأحدى التجارب والممارسات الفنية في الساحة العُمانية.

٢- تقديم قراءة في إنشائية العمل الفني للفنانة العُمانية فخرية اليحيائية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في قراءة وتحليل إحدى التجارب العُمانية المعاصرة. حيث اختار الباحث تجربة الفنانة فخرية اليحيائية كونها استطاعت أن تجمع بين الجانب الأكاديمي من جهة والممارسة الفنية من جهة أخرى، ونعتبر أن تجربتها الفنية جديرة بالوقوف عليها ودراستها بما تتميز به من أصالة، تدفع بنا إلى إمكانية وصفها بأنها تحمل أبعادا فلسفية ذات خطاب ذاتي متميز في مختلف المستويات.

---

[1] فخرية اليحيائية أستاذ مشارك للرسم والتصوير ورئيس قسم التربية الفنية بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عُمان. مؤسسة ورئيسة المجموعة البحثية الفنون البصرية العمانية وعضوة بالمتحف العالمي للمرأة، سان فرانسيسكو، وعضوة بمتحف ليفربول القومي، بالمملكة المتحدة، وعضوة بالجمعية الأوربية لعلم الجمال بسويسرا، وعضوة بالرابطة الوطنية للتعليم للفنون التشكيلية ببريطانيا، وعضوة بمتحف الفن الحديث بنيويورك، وعضوة بالجمعية العمانية للفنون التشكيلية و بمرسم الشباب (سلطنة عُمان). أقامت العديد من المعارض الفردية والجماعية على المستويين العالمي والمحلي. كما حصدت العديد من الجوائز المحلية والعالمية. قامت بتحكيم وترأس لجان عديد الجوائز والمسابقات الوطنية مثل (جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب "مجال الفن التشكيلي" في دورتها الأولى عام ٢٠١٢، ومسابقة السلطان قابوس للإجادة الحرفية على المستوى الوطني لعام ٢٠١٠، وجائزة السلطان قابوس للإبداع الثقافي، ٢٠٠٦. لها العديد من الاهتمامات البحثية في مجال تدريس الرسم والتصوير، وفنون ما بعد الحداثة، وقضايا التراث والهوية العربية والإسلامية، والبحوث المعتمدة على الممارسة والتطبيق، ومجالات الفنون البصرية.

عينة الدراسة:

جاء سعينا للبحث عن آليات التفكير الخاصة بالفنانة اليحيائية من منطلق أن إنتاجها التشكيلي موضوع جدير بالدراسة والاطلاع من وجهة نظر الباحث. وتنحصر عينة الدراسة لتبحث في تجربتين مختلفتين في الزمن والدلالة الفنية هما: "معرض "تكوينات لونية"" و"أنت وأنا: عمانيات".

فخرية اليحيائية تخرج عن طور الصورة في التشكيل في معرض تكوينات لونية

كتبت الفنانة فخرية اليحيائية (٢٠١٥) في دراسة علمية موسومة ب"فضاء العمل الفني بين المعنى والتشكيلي: قراءة ذاتية": "وانطلاقا من الصور الفوتوغرافية المتعددة المواضيع والمقاييس والصياغات، تقوم الفنانة فخرية بتركيب تشكيلي، فتقدم من خلاله أعمالا بصرية وتجربة جميلة تعتمد على التوافق التمثيلي الذي يعتمد على عملية النظر في تلقيه للمادة البصرية المطروحة. فهي تلجأ إلى تقنية التقريب وتجميع بقايا الأقمشة وإعادة صياغة الأجزاء لتركيب صور فوتوغرافية بصرية مختلفة في صياغاتها عن المصدر الأساسي لها، وذلك من خلال إعادة توظيف التكوينات اللونية والخطية والمساحية، بحيث تعيد الفنانة توظيف الخامة الأساسية وإعادة تشكيلها في تركيبة بصرية فريدة من نوعها، فهي لا تستقي تناغمها من تمثيل الواقع، وإنما من إيقاع التنوع والترتيب والتركيب وإعادة الصياغة ".

لذا يمكن القول إن أهم ما يميز أعمال اليحيائية في معرض "تكوينات لونية" قدرتها على رسم التكوينات اللونية من غير استخدام أي معالجة فنية أو رقمية، فجميع الأعمال الفنية المعروضة تم أخذها بطريقة مباشرة من تجميعات سطوح الأقمشة، مع التركيز على التكوين المراد إنتاجه إبداعيا، وقد يظن المشاهد للوهلة الأولى أن الأعمال الفنية المنتجة قد مرت بمعالجات جرافيكية، أو باستخدام الكمبيوتر إلا أن الواقع غير ذلك، وهذا ما يميز أعمالها الفريدة في هذا المعرض عن غيره من المعارض الفنية الأخرى. إن التكوينات الفنية قائمة على استخدام عنصر واحد من عناصر العمل الفني إلا وهو اللون، فأكتفت الفنانة بهذا العنصر في إيجاد تكوينات وأوضاع وصور مختلفة اضفت على المعرض ثراء وقيمة فوق القيمة الفنية التي يطرحها.

كما نستقرئ من تصريح الفنانة عن معرضها "تكوينات لونية" أعلاه أنها قدمت عرضا تشكيليا مركبا من سلسلة صور فوتوغرافية ذات أشكال بصرية مختلفة تدور في فلك واحد هي جماليات

الأقمشة والمنسوجات الشرقية، حيث أن العرض البصري كان منسوجا في وحدة تكاملية تفرض على المشاهد استرسال النظر والتمعن والبحث عن تلك الأشكال المألوفة لديه وذلك من خلال الانتقال من صورة إلى أخرى داخل مساحات فضاء اللوحة الفوتوغرافية التشكيلية والتي تنتج عنها وحدة الأسلوب والتقنية والموضوع. وتذكر الفنانة إن "هرمونية اللون في هذا المعرض ظاهرة بشكل كبير للعيان عاكسه بدورها إيقاعا متناغما ليس فقط من خلال تنوع التكوينات والأشكال البصرية التي يطرحها هذا المعرض وإنما من خلال عمق اللون وشفافيته تارة ومن خلال صوفية تلك الألوان التي تجعل المشاهد في حالة من الاستقرار النفسي عند رؤيتها." اليحيائي (٢٠١٥)

وهذا يؤكد قولنا السابق أن عملية انتاجها الفني مرتبطة بفلسفات خاصة بها بل أن أعمالها ناتجة من محاولات تجديد نشاط العين في رؤية الواقع، من خلال البحث عن العلاقات اللونية الناتجة عن التأمل أولاً، وبالتدخل المباشر من قبل الفنان في بناء تكوينات متكاملة قائمة على عمليات تجميع الأقمشة في بناءات لونية ثانياً، وبالاستفادة من إمكانيات الكاميرا في التسجيل السريع للأشياء ثالثاً، والتي ليس من السهولة إدراكها. وقد كان الهدف الفني للمعرض كما أشارت الفنانة في كتالوج معرضها هو "إنتاج علاقات لونية مجردة في شكل تكوينات متزنة، ومكتملة من حيث القيم الجمالية البحتة؛ باستخدام إحدى الخامات البيئة الجاهزة، لإيجاد تنبيهات بصرية، موجودة أساسا، ولكن تحتاج هذه المثيرات من يدركها أو يشاهدها كعلاقات جمالية. ومن أجل تحقيق هذا الهدف استخدمت الفنانة إمكانيات الكاميرا لتسجيل تكوينات تعتمد على التوافق التمثيلي الذي يعتمد على عملية النظر في تلقي المادة البصرية المطروحة. فهي تلجأ إلى تقنية التقريب وتجميع بقايا الأقمشة وإعادة صياغة الأجزاء لتركيب صور فوتوغرافية بصرية مختلفة في صياغاتها عن المصدر الأساسي لها، بحيث تعيد الفنانة توظيف الخامة الأساسية من خلال إعادة تشكيلها في تركيبة بصرية فريدة من نوعها، لا تستقي تناغمها من تمثيل الواقع، وإنما من إيقاع التنوع والترتيب والتركيب وإعادة الصياغة. حتى ولو تشابهة مع الواقع". اليحيائي (٢٠٠٨)

وفي نفس هذا السياق يقول جاك أومون (٢٠١٣): "أن طرح سارتر متوافق مع الموقف الظاهراتي الهوسرلي[٢] الذي يشير إلى أن: الصورة الذهنية لا يمكن فصلها أو مشاهدتها، فهي شكل من أشكال الوعي. وهي تختلف بشكل ملحوظ عن الإدراك، ذلك أنّ الوعي الإدراكي يلتقي مع الشيء، أمّا

[٢] نسبة الى ادمون هوسرل Edmond Husserl.

الوعي الخيالي فينظم الأشياء ويركبها، أو إن أردنا، الصورة هي الطريقة التي يظهر من خلالها الشيء إلى الوعي. ونتيجة، لا تسمح الصورة الذهنية بمراقبة الأشياء، فنحن لا نتعلم شيئا من خلال هذه الصورة، لأنها لا تحتوي إلا على ما وضعناه فيها: وبالعكس، من المؤكد أن الإدراك يتيح مجالا للتعلم في الأشياء المرئية." هذا الشاهد يؤكد قيمة ومعنى الصورة عند الإنسان عامة والمفكرين والفلاسفة والفنانين خاصة بما أنها تغطي العديد من المعاني. وما يمكن قوله إن إحدى السمات الأساسية التي ندركها في أعمال فخرية اليحيائية تقوم على إبراز العلاقة الوطيدة بين الذاتي والصورة. فالممارسة الفنية عند الفنانة تحتوي عناصر موجودة في البيئة العمانية، فالبيئة العمانية تحتوي صورا ورموزا عديدة سكنت نفس الفنانة وعقلها. ويظهر العمل الفني بالنسبة إلى الفنانة باعتباره قاعدة ثرية من الإشارات والرموز والمفاتيح. والتجربة التي تفرض نفسها في هذا السياق هو معرض تكوينات لونية الذي أقامته سنة ٢٠٠٨، فثمة صورة تأليفية إذن من جميع النواحي: فما من مشاهد سينفذ من الوهلة الأولى إلى حقيقة الموضوع بمختلف تكويناته اللونية، إلا أن المشاهد صاحب الثقافة الفنية والتشكيلية تستدعيه أعمال هذه التجربة للغوص بنشوة في معرفة معاني مجموعة من التكوينات اللونية التي تختلف تقنياتها المستعملة (زاوية النظر، بعد الموضوع، وثراء الألوان وتدرجها) وحدودها. إلا أن معرفة هذا المشاهد لا يمكن أن تتم من دون شروط مسبقة. الشروط المعرفية: أي يجب أن تكون لدى المشاهد المتلقي لأعمال هذه التجربة فكرة ولو بسيطة عما هو المعاصر في الفنون التشكيلية. وشروط ثقافية وعلمية وتاريخية: وسنتبنى فكر أسعد عرابي (٢٠٠٦) في تساؤلاته عن مفهوم الحداثة ومعانيها. فقد ذهب في التفسير إلى أنه إذا ما كان صحيحا أن النموذج الغربي لا يحتكر الحداثة فإن البديل لم يعرض بعد ما خلا نماذج مبعثرة في تاريخ المعاصرة التشكيلية العربية وقد كتب في ذلك: "إن ناقلي الحداثة وما بعدها وقعوا في الإدعاء والانفصام عن السياق العضوي في تطور مفاصل هذه التيارات المستوردة، ففقدت اللوحة شهادتي المكان والزمان، ووقع الفن العربي ضمن فكرتين أصوليتين: الأولى نكوصية سياحية تعادي الحداثة بأي ثمن والثانية مراهقة اختلاسية بغائية تدافع عن الحداثة بأي ثمن". غير أنّ فنّ فخرية اليحيائية قد حاول تجاوز هذا الارتباك والانفصام الذي تتطلب منها تأملا ذاتيا واعترافا بالهوية ومراجعة للراهن الثقافي. علاوة على ذلك، فقد كان لرحلتها الدراسية في المملكة المتحدة في أواخر التسعينات في القرن الماضي أثر كبير للدفع بها نحو فهم سؤال المعاصر في التشكيلي ومعانيه، وهذا لا يمنعنا من اعتبار فخرية اليحيائية من أهم الفنانين المعاصرين اليوم في عمان وخارجها. وعلى الرغم من أنه يصعب تحديد الفنان المعاصر إلا أنه اتفق عموما أنه يتجلى من خلال ممارسة ذكية تشكيلا وفكرا، وللفنانة مساهمة كبيرة في معنى المعاصر في التجربة التشكيلية العمانية، والتي بالنسبة إليها يطغى عليها نفس البحث وفلسفة الثقافة وروح الهوية، فضلا عن ذلك، فإنّ الفنانة تؤكد على معنى الانتماء إلى وطنها عمان ويبرز ذلك في كل مرة في قيمة الموضوع الذي يؤثر الشكل في توا شجه في صورة مقروءة.

الشكل رقم (١)، تراكم، ٦٥ سم * ٨٠ سم * ٨٠ سم، قماش حريري، ٢٠٠٨

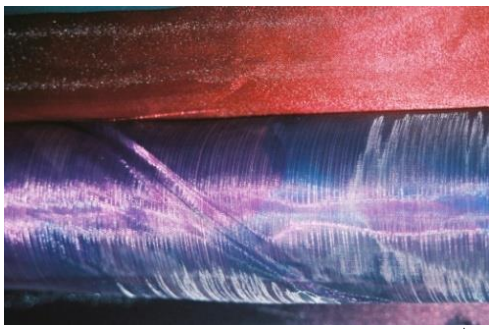

الشكل رقم (١)، تراكم، ٦٥ سم * ٨٠ سم * ٨٠ سم، قماش حريري، ٢٠٠٨.

(AmeSea Database – ae –July. 2016- 0174)

وتذكر اليحيائية أيضا (٢٠١٥) "فعلى سبيل المثال كان أهم ما يميز هذا المعرض مجموعة "تكوينات سماوية" والتي تشكل سلسلة من الأعمال الزرقاء، والتي تطرح فيها الفنانة موضوعات مختلفة ذات تكوينات رائعة الجمال لها شبه في الواقع والمحيط الإنساني. حيث تمثل هذه المجموعة نقاط الاتصال بين السماء والأرض من جهة وبين المادي والمعنوي من جهة أخرى، كما أنها قد تمثل القيم العليا السماوية. ففي عمل "انسياب" من تكوينات سماوية نلاحظ جود سماء قاتمة على بحرٍ هادئ يتلاطمها موج عالٍ مشكلا مركز السيادة في هذا العمل الفني، إن حركة الموج بألوانه الزرقاء المتدرجة وقيمها الفنية تضفي نوعا من الاستقرار والهدوء والسكينة على التكوين بشكل عام ويعود ذلك إلى استخدام الألوان الباردة التي تعكس هذه الخاصية، كما أن وجود اللون البارد بجوار لون بارد آخر يجعل التكوين أكثر برودة وقد تغلبت الفنانة على هذا من خلال استخدام درجات لونية مختلفة بين السماء والأرض وبين الموج مما أظهر التكوين بشكل أكثر تماسكا وإتقانا. كما أن شكل الفراغ في مسطح هذا العمل يصيب المشاهد بتفاعل وقشعريرة تسري في أرجاء اللوحة وتحرك مشاعره تلتف حول تلك الأشكال الظاهرة مما يؤدي شحن جوارحه ليجد المشاهد نفسه في فرصة لاقتحام التكوين والدخول فيه بهدف تملكه وقيادة جزيئاته المكانية. إن موضوع الدخول في فراغ اللوحة هو بدايات رحلة البحث والتجوال البصري وهذا يعكس مدى براعة الفنانة في القدرة على استدراج المشاهد للدخول في عوالم اللوحة واقتحام الفراغ بكل جرأة وقوة. "إننا نؤكد من خلالها على قيمة الانضباط الفني الذي تتمتع به الفنانة فخرية اليحيائية. لكن ما معنى إدراك وفهم الصورة التشكيلية لفخرية اليحيائية ؟ إنه ضرب من "الاستضافة المنفتحة" الخاصة بالمتلقي الذي يتوجب أن يكون متمتعا بخبرة ذوقية خاصة ومدركا لخفايا الجمال وقوانينه. وفي هذا السجل أكدت أم الزين بنشيخة المسكيني (٢٠١١) في تحليلها لـ"ميدان الرائع هو مصير البشر": "إلاّ أنّ الإستطيقا لا تخضع لأي قانون ما قبلي ملزم للذوق. "غير أن ما يثيرنا على وجه التحديد في هذه الممارسة الفنية هو: أن فخرية اليحيائية لا تصرح إطلاقا بأنها تشيد مفهوم المعاصر في مجال الفنون التشكيلية. بل تكاد الفنانة تصمت مرة تماما عن هذا المعنى (المعاصر) ما عدا بعض الشذرات النادرة. وثمة فكرة تكررها الفنانة مفادها أن ثمة نمطا تشكيليا مفاهيميا، يولد مباشرة انطلاقا من أفكار ومواضيع ومواد تتأسس في نهر مخيلتها هي نتاج خبرة وقدرة على التخيل وهو وليد ذاكرة جميلة وخبرة معايشتها للآخر في حياتها اليومية. بالنسبة إليها هناك نمط بصري لـ"الصورة - الفكر" ولـ"الفكر-الصورة": كلاهما مكمل للنمط الثقافي والتقني والمفهومي والتشكيلي وبالأهمية ذاتها. وتكاد فخرية اليحيائية تصمت صمتا تاما عن خروجها عن طور الصورة في التشكيل. ولنا أن نسأل حينئذ لماذا صمتت الفنانة عن معنى المعاصر الذي جعلت من قواعده حالات سامية حرّة المخيلة لا حدود لتشكيلها؟

الإجابة عن ذلك هي في ما كتبه محمود شاهين (٢٠١١) عن تجربتها بقوله: "يعتبر المعرض الشخصي السابع للفنانة فخرية اليحيائي الذي دعته «تكوينات لونية» وأقامته في مقر الجمعية العمانية للفنون التشكيلية بالعاصمة «مسقط» سنة ٢٠٠٨، من أبرز وأهم الأمثلة، على إيغالها وشغفها، بتحميل منجزها البصري «لا سيما ألوانه» أبعادا دلالية فلسفية عميقة، رغم البساطة التوليفية والتقانية... وحتى الإيحائية التي يوحي بها للمتلقي التي لا مندوحة أمامه، إذا أراد التقاط ما حملته من معان وأفكار وأبعاد فكرية، من الاتكاء على النص المكتوب المرافق، أي لا بد من الإطلالة على نصها البصري من نصها الفلسفي الغني بالإحالات والمراجع، ما يؤكد سعة اطلاعها وثقافتها في مجال علوم الفن والجمال وفلسفاته التي وجدت في الأساس، لإسعاف المتلقي في إدراك ماهيته الشكلية والتعبيرية، رغم أن البعض منها، زاد من إيهامه وغموضه، بل وحمله ما ليس فيه، بهدف تقديم مسوغات لوجوده ووجود صاحبه الخاطئ والطارئ، في هذا الحقل من الإبداع."

الشكل رقم (٣): انسياب، فخرية ايحيائية، قماش حريري، ٦٥ سم X ٨٠ سم، 2008.

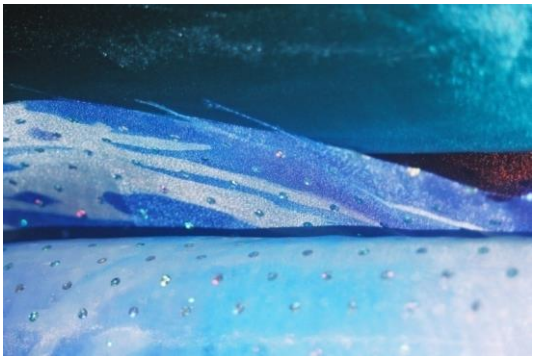

الشكل رقم (٤): أمواج، فخرية ايحيائية، قماش حريري، ٦٥ سم X ٨٠ سم، 2008.

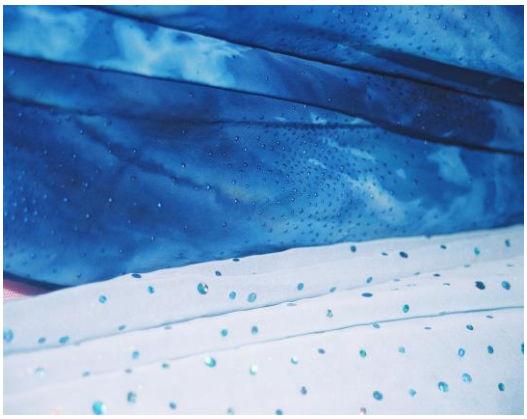

الشكل رقم (٥): تداخل، فخرية ايحيائية، قماش حريري، ٦٥ سم 80 X سم، ٢٠٠٨.

وفي الأخير يمكن القول إن الفنانة في عرضها البصري في معرض "تكوينات لونية" كانت تفرض على المشاهد استرسال النظر والتمعن والبحث عن تلك الأشكال المألوفة لديه أو ضمن إطار ذاكرته البصرية وذلك من خلال الانتقال من صورة إلى أخرى داخل مساحات فضاء اللوحة الفوتوغرافية التشكيلية والتي تنتج عنها وحدة الأسلوب والتقنية والموضوع. تلك الأعمال عكست في نفسية المشاهد إيقاعا متناغما ليس فقط من خلال تنوع التكوينات والأشكال البصرية التي يطرحها هذا المعرض وإنما من خلال عمق اللون وشفافيته تارة ومن خلال صوفية تلك الألوان التي تجعل المشاهد في حالة من الاستقرار النفسي عند رؤيتها.

(AmeSea Database – ae –July. 2016- 0174)

تعبيرية فضاء الصورة الفوتوغرافية تجربة الفنانة التشكيلية فخرية اليحيائية "أنت وأنا: عمانيات"

أما في معرض "أنت وأنا: عُمانيات" فقد صرحت اليحيائية أنها تقدم "تجربة فنية في هيئة علاقات بصرية لونية في إيقاعات جمالية بين الأنا الخاصة بالفنانة والأنا الأخرى التي تنتمي لهذا المجتمع. وهو مشروع فني تربط فيه الفنانة التراث بالهوية العُمانية في قالب فني معاصر، من خلال تسجيل لحظات تفاعلية حركية، وإيقاعات متباينة من حيث اللون والموضع. يستشعر فيها المشاهد الثراء البصري والتناغم الحركي في الأعمال الفنية، وتدخله هذه الايقاعات في أعماق التراث العمانية ورموزه، حتي يكاد المشاهد يشتنشق رائحة الماضي والتي تأخذنا للجذور الأولى لإنتِ وأنا: عُمانيات". اليحيائية (٢٠١٤)

وهنا يمكن لنا القول عند النظر في تجربة الفنانة التشكيلية فخرية اليحيائية "أنت وأنا: عمانيات" ومحاولة قراءتها نتساءل: هل أن بروز الهوية العمانية يكمن في تلك الهيئات النسائية المختلفة التي تشكل فضاءها الفوتوغرافي؟ أو مثلا يمكن أن نتساءل أيضا: هل أن بروز التراث يكمن في تجربة فنية معاصرة بوصفها ممارسة تشكيلية تتجلى عبر الألوان والحركة والسطوح والفراغ والخطوط، أم من خلال تلك المرأة العمانية التي تملأ فضاءها الفوتوغرافي؟

يؤكد إسماعيل عبد الله (٢٠٠٨) على أن هوية الكائن إنما تحيل على ماهيته، على تميزه عن الآخر ويجعل قوامه مختلفا. فالهوية نظريا حاضرة وغائبة ويتطلبها سياق معين وتتراجع إن اختلف السياق. وعلاقة الهوية بالسياق تبني علاقة أخرى بين الهوية والوعي الذاتي. فالكائن لا يتلمس هويته إلا إذا واجه كائنا آخر له هوية مختلفة. ألا تبعث هذه الأعمال الفنية إلى النظر في مضامينها. إذ عرف إسماعيل عبد الله الهوية على أنها: "ترجع إلى مصدر طبيعة إنسانية ذات احتمالات وإمكانيات عامة ووضع اجتماعي تاريخي يحدد ما يتحقق من هذه الاحتمالات والإمكانات والاتجاه الذي تتخذه".

وقد تكشف خيارات الفنانة التشكيلية على مستوى البناء والمفردات التي اتخذتها لأعمالها وأكسبتها بذلك طابعا تجريبيا هاما لممارستها خاصة. ونحاول التذكير بأن طبيعة الممارسة والاختيارات التشكيلية والجمالية للفنان لا تكون مرتبطة أساسا بالأجزاء والأشكال وحتى الأشياء بقدر ما تكون مرتبطة بالفكرة ومضمون العمل الذي يبرز من خلاله الهاجس التشكيلي في توزيع العناصر وتنظيم الأشياء وفق مجموعة من المبادئ والقواعد تحكمها العلاقات التشكيلية لا غير. ونحن نرى المرأة العمانية في فضاء الصورة الفوتوغرافية لفخرية اليحيائية عنصرا تشكيليا متميزا بل مفردة تشكيلية مستقلة بذاتها قد أعطتها الفنانة من روحها وفكرها وإحساسها. هذه المفردة التشكيلية هي أشبه باللغة، تحمل دلالات هويتها وتقوم بوظائف إنسانية في نفس ذلك الفضاء التشكيلي الذي شيدته برؤيتها الخاصة. ومن ميزاتها أيضا أنها اجتماعية وتقنية، إنها لغة أصيلة تمثل الذات وهكذا كانت الممارسة الفنية هي تجربة حضارة الإنسان الذي أنشأ هذه الأعمال والآثار الفنية وتطورها بحسب فكره و تعبيره وذائقته.

في هذه المجموعة من الأعمال الفوتوغرافية التي تعتبرها الفنانة لوحات لفضاء تشكيلي مفاهيمي ضمن بدايات تعتمد فكرة التنصيبة (Installation) كتقنية تشكيلية قامت الفنانة من خلالها بنقل حركة وحراك المرأة العمانية تشكيليا للتعبير عنها بذاتية متميزة مبنية على دفء وحرارة شديدة في انتمائها إلى تعبيرية تشخيصية. وإذا أمعن المشاهد النظر إلى هذه الأعمال سيكتشف حضور غنائية الجسم الذي أصبح مرسوما ومترابطا ببراعة مع فضاءه في اللوحة وفي كل مرة تتغير المقترحات اللونية التي تهيكل مختلف الأشكال، انه من كل ذلك ستأخذنا الذاكرة إلى إيقاعات جمالية بين الأنا الخاصة بالفنانة والانا الأخرى التي تنتمي إلى نفس هذا المجتمع. انه مجتمع امرأة مشرقية بمخيال جمالي جديد في تداخل بين الفراغ والممتلئ والحركة والثبات في هالة روحانية في صيرورة لعناصر تشكيلية ثرية في مختلف الاتجاهات حاملة معها الثقافة العمانية، لكن في صيغة وتأليف هما أصيلين و مثيرين وذلك باجتياحهما الفراغ ولعل فعلها التشكيلي هذا إنما يذكرنا بما كتبه نيتشه في "جيانولوجيا الفن" حين أكد على أن "أصول الفن" تتأسس على مراوحة، في نفس الوقت، بين ثلاثة أساسيات وهي دراسة وظيفته المعيشية ووظيفته التغييرية ودراسة نفسية الفنان المرتبطة أساسا بهويته ومجتمعه الذي يعيش فيه من قريب أو من بعيد.

وقد أكد عبد المولى (٢٠١٤) أنه: "كلما دققت النظر في مختلف أعمال هذه المجموعة الفنية ستلاحظ جدلية بين البعد الروحاني الذي يرجعنا إلى ذات تراثها متميز وتؤكد تواصلها مع الحاضر واتصالها به والبعد التعبيري الذي يتمثل في صورة عمانية تتماهى في تجليات فكرية معاصرة لأنهما لا ينتجان عن محاولات بسيطة ومسطحة، بل رؤى عميقة في معانيها التي تساءل غايات جوهرية الأبعاد والتي تشكل محوراً هاماً في وعي الفنانة التشكيلية فخرية اليحيائية التي يُبرز عملها الفني استعداده لتجاوز المفهوم اللحظي المرتبط بالأحداث الآنية والزائلة إلى الديمومة منه، ولا يتأسس كل ذلك إلا من خلال رؤية ذاتية للموضوع نفسه: بكل بساطة فان هذه التجربة التشكيلية قد ولدت رابطا مفاهيميا لآلية الروحاني والتعبيري في علاقة حميمية، وكذلك الفضاء الذي ولجته مختلف العناصر التشكيلية معها آخذة بعين الاعتبار الفكرة التي اهتمت بها حتى تصبح حدثاً فنياً أو ظاهرة موسومة بالتواصل والاستمرار".

عند العودة إلى بعض الأعمال مثل (عالية، نقاء، نصرة، حليمة) تتراءى للمشاهد خصوصية تشكيلية ذات قيمة هامة قد أكدتها فخرية اليحيائية بفرضها لأسلوب يعكس تأثره بالمستقبلية حيث اهتمت بتزاوج جسد المرأة الذي هو في حركة دائمة مع مجموعة هامة للحاف الذي يذكرنا في كل مرة بنفس المرجعية ألا وهي الهوية العمانية. اجتماع المرأة واللحاف يبرز في كل مرة صورة متغيرة وتكون حاملة للون جديد كغلاف لمكونات العمل في حين يصبح الأسود مؤسسا للحركة في هيكلة هذا الفضاء. أما العنصر الجرافيكي فقد كان حضوره وفق اختلاف اللحاف يثري نسيج المفردات التشكيلية بتسارعها وتباطئها في دعوة للعين إلى التنقل بين أرجاء الفضاء التشكيلي من كل الجهات والاتجاهات: فجميع الألوان قد تخللت فضاء الصورة الفوتوغرافية.

الشكل رقم (٦) والشكل رقم (٧): نصره ونقاء، فخرية اليحيائية، قماش حريري، ٦٥ سم X ٨٠ سم، 2008.

الشكل رقم (٨): عالية، فخرية اليحيائية، قماش حريري، ٦٥ سم X ٨٠ سم، 2008.

الشكل رقم (٩): حليمة، فخرية اليحيائية، قماش حريري، ٦٥ سم X ٨٠ سم، 2008.

إلى جانب الألوان فإن عنصر الضوء كان هاما في هذه اللوحات فمن خلاله قد تحولت أفضية اللوحة إلى مساحات مشبعة بواقعية المشهد التشكيلي الذي أصبح في سجال عميق مع صيغ لونية وجمالية ثرية بذاكرة الفنانة الثقافية والتاريخية والحضارية والمعمارية للمجتمع العماني. إن في كل ذلك قد عملت الفنانة على إبراز كيفية تواصلها مع تنوع الألوان التي اعتمدتها خاصة الألوان الحارة التي أضفت في صورها نوعا من الإضاءة ذي أريحية. وهنا نأتي إلى الحديث عن حدود الأشكال والمساحات التي ساهمت في إبراز مجموعة هامة من الخطوط وتمسي بذلك للخطوط وظائف أخرى تنظم حركة العين عند تأمل المتلقي للموضوع. فالفضاء بدوره له إمكانية توجيهنا إلى حالة انفعالية ايجابية تساعد على قراءة العمل وتأويل بقية مكوناته للتواصل مع أنا الفنانة.

"أنت وأنا: عمانيات" أو فلنقل الفنانة وتعبيرية فضاء الصورة الفوتوغرافية. هي تجربة تشكيلية هامة في رؤيتها وثرية في مضمونها ومعاصرة في جنسها التشكيلي قد ساهمت الفنانة التشكيلية فخرية اليحيائية فيها بنقل عالمها الذاتي بإيجاز وإيحاء واختصار الذي هو نابع من محيطها الشخصي وبيئتها العمانية. هي محاولة أصيلة قامت فيه أيضا بتسجيل راوح بين التفصيل الواضح والجلي من جهة وبين التخفي والتستر من جهة أخرى من خلال مختلف المكونات التشكيلية البصرية. هي عبارة عن لعبة تشكيلية بارعة تستند على جدلية التخفي والبروز أو بعبارة أكثر دقة هي تلك المفارقة العميقة بين ما يدور في مخيلة وفكر الفنان من جهة وبين الواقع المتمثل أمامنا في فضاء العمل الفني. أما في هذه التجربة الفنية الهامة فأظن أن الفنانة قد اهتدت بتميز جمالي خالص في أن تحول إلى ما يدور في أنسجة خيالها وفكرها من صور إلى واقع تشكيلي وملموس قد ترجم عن صدق واضح ونضج تشكيلي قد عانقا تعبيرا مرهفا وجميلا قد مهد لنا طريق النفاذ إلى جوهر العمل وخلفياته.

الخاتمة:

وفي الأخير يصح لنا التعبير أن أعمال فخرية اليحيائية في التجربتين محور البحث هذا تتجاوز حدود النقل والتقليد المباشر للأشكال الفنية بل هي فرصة لإدراج عمليات التفكير والخيال والخلق إعادة إنتاج المرئيات داخل وحدات تشكيلية جديدة يمكن إدراكها بصريا في قوالب جديدة. وقد تتشابه أعمالها في كل تجربة من حيث الموضوع، والخامة والمقاس ودرجات الألوان وهذا في حد ذاته خصوصية تشكيلية من خلالها تقوم الفنانة بتحديد طريقة التلقي للمشاهد ضمن مجال فني خاص بها. وتذكر أعمالها التي توصف بالذكية والتجريدية بالدور التعبيري الذي تضطلع بها ألوانها. ويدل استعمالها الحريص على التعبير البصري، ثراء الألوان وتعددها. إن التعبيرية الخاصة باللون والأشكال التراثية العمانية موضوعا معاصرا، ونادرا ما نجد تجربة فنية مقنعة في هذا المجال.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة بصرية ونظرية عن واحدة من التجارب الفنية في سلطنة عُمان. ويأتي البحث ليستعرض تجربة الفنانة العُمانية فخرية اليحيائية، هدفها جمع ما يدور حولها من معلومات تشكيلية وثقافية إلى جانب بيان معاني الرموز والأشكال والألوان والتقنيات والمواد والخامات والتكوينات المستعملة، أكثر من كونها تقديم مقارنات نقدية أو تحليلية. وجاءت عينة البحث من خلال تناول تجربتين مختلفتين في الزمن والدلالة الفنية: "معرض "تكوينات لونية"" و"أنت وأنا: عمانيات". لعل ذلك يساهم في التأسيس لوجهة نظر أخرى مختلفة ورؤية نظرية تتجاوز حدود النقد الفني والتذوق الفني نحو قراءة أكثر عمقا في إنشائية العمل الفني بمختلف تفاصيله تشكيليا وتقنيا وحتى معانيه فكريا وتحليليا واجتماعيا.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

أسعد عرابي (٢٠٠٦). معنى الحداثة في اللوحة العربية ، دار نينوى، دمشق، ص. ٣٣.

إسماعيل عبد الله (٢٠٠٨). انكسار الأمل وايتار الرفض تفاوت الرؤى، صنيعة ذاتية، أم بحث في الهوية ؟، الفنون الإسلامية بين هوية التراثي ومجتمع العولمة، أبحاث ندوة علمية دولية مارس ٢٠٠٨، الدوحة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث ومركز الفنون البصرية، ص.٩٠

أم الزين بنشيخة المسكيني(٢٠١١). الفن يخرج عن طوره أو مفهوم الرائع في الجماليات المعاصرة من كانط إلى دريدا، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ص. ٢٩.

جاك، أومون (٢٠١٣). الصورة، ترجمة ريتا الخوري، نشر المنظمة العربية للترجمة، أبريل ٢٠١٣، ص. ٤٩.

شاهين، محمود (٢٠١٠). جدلية الفن وجمال الطبيعة، مجلة الكويت، دولة الكويت، العدد ٣٦٣

اليحيائية، فخرية (٢٠٠٨). كتالوج معرض "تكوينات لونية"، قاعة الجمعية العمانية للفنون التشكيلية، (سلطنة عُمان)، في الفترة من ٢-٢٠٠٨/٨/٧.

اليحيائية، فخرية (٢٠١٤). كتالوج معرض "أنت وأنا.. عمانيات" معرض فني وفردي منظر بقاعة المركز العماني الفرنسي ، (سلطنة عُمان)، الفترة من ٢١ أكتوبر -٦ نوفمبر ٢٠١٤.

اليحيائية، فخرية (٢٠١٥). فضاء العمل الفني بين المعنى والتشكيلي: قراءة ذاتية. ورقة مقدمة في المؤتمر الدولي الأول للمجموعة البحثية للممارسات الفنية العُمانية المعاصرة: الممارسات الفنية العُمانية المعاصرة، المجموعة البحثية للفنون البصرية العُمانية، ٣٠ – ٣١ مارس ٢٠١٥، مسقط، سلطنة عمان.

عبد المولى، وسام (٢٠١٤). تعبيرية فضاء الصورة الفوتوغرافية تجربة الفنانة التشكيلية فخرية اليحيائية "أنت وأنا: عمانيات") - (جريدة الوطن / اشرعة) - مسقط / اكتوبر - ٢٠١٤.

المؤلف:

د.وسام عبد المولى : من مواليد صفاقس (الجمهورية التونسية) متحصل في سنة ٢٠٠٨ على دكتوراه في الفنون وفي سنة ٢٠٠١ على شهادة الدراسات المعمقة في الفنون التشكيلية : بحوث معمقة وتطبيقية، من جامعة البنتويون- السربون باريس ١. وفي سنة ٢٠٠٠ على ليسونس في الفنون التشكيلية جامعة سان دوني باريس. وتحصل على الأستاذية في الفنون التشكيلية من المعهد العالي للفنون الجميلة بتونس، قسم الفنون التشكيلية، جامعة تونس. فنان تشكيلي ومنذ ٢٠٠٢ أستاذ مساعد بالمعهد العالي للفنون الجميلة بتونس. مؤسس ورئيس الجمعية التونسية للفنون المرئية بالمعهد العالي للفنون الجميلة بتونس. من ٢٠١٢ حتى ٢٠١٤ : المشرف الاكاديمي للدراسات العليا بقسم التربية الفنية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة. أستاذ مساعد بقسم التربية الفنية بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان. عضو في اللجان الوطنية للانتداب مساعدي التعليم العالي في الفنون التشكيلية بوزارة التعليم العالي بتونس بعنوان ٢٠١٠/٢٠١٤. نشر له مركز النشر الجامعي الفرنسي "نظر في الشظايا وفعل الأثر في فضاء الرّسم، لتجلي الحميمي". له تسعة معارض شخصية ويشارك في المعارض الجماعية منذ ١٩٩٦ بتونس والمغرب وفرنسا وألمانيا والمملكة العربية السعودية. وله مقتنيات لدى وزارة الثقافة ومجموعة أعمال فنية دائمة العرض بمتحف المركز الأمريكي للدراسات المغاربية بالمفوضية الأمريكية بطنجة بالمغرب منذ ديسمبر ٢٠١٠. شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والندوات والملتقيات الثقافية في تونس والخارج وأشرف على العديد من رسائل الاجازة والأستاذية والماجستير في الفنون التشكيلية والتربية الفنية وعلوم وتقنيات الطفولة ونشر عديد المقالات.